

تفسير ابن كثير

يقول تعالى ألا تعجب يا محمد من هؤلاء المكذبين بآيات الله ويجادلون في الحق بالباطل كيف تصرف عقولهم عن الهدى إلى الضلال { الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا } أي من الهدى والبيان { فسوف يعلمون } هذا تهديد شديد ووعد أكيد من الرب جل جلاله لهؤلاء كما قال تعالى : { ويل يومئذ للمكذبين } وقوله D : { إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل } أي متصلة بالأغلال بأيدي الزبانية يسحبونهم على وجوههم تارة إلى الحميم وتارة إلى الجحيم ولهذا قال تعالى : { يسحبون * في الحميم ثم في النار يسجرون } كما قال تبارك وتعالى : { هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون * يطوفون بينها وبين حميم آن } وقال تعالى بعد ذكر أكلهم الزقوم وشربهم الحميم : { وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال * في سموم وحميم * وظل من يحموم * لا بارد ولا كريم * إنهم كانوا قبل ذلك مترفين * وكانوا يصرون على الحنث العظيم * وكانوا يقولون إذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإننا لمبعوثون * أو آباؤنا الأولون * قل إن الأولين والآخرين * لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم * ثم إنكم أيها الضالون المكذبون * لآكلون من شجر من زقوم * فمالئون منها البطون * فشاربون عليه من الحميم * فشاربون شرب الهيم * هذا نزلهم يوم الدين } وقال D : { إن شجرة الزقوم * طعام الأثيم * كالمهل يغلي في البطون * كغلي الحميم * خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم * ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم * ذق إنك أنت العزيز الكريم * إن هذا ما كنتم به تمترون } أي يقال لهم ذلك على وجه التفريع والتوبيخ والتحقير والتصغير والتهكم والاستهزاء بهم قال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسين حدثنا أحمد بن منيع حدثنا منصور بن عمار حدثنا بشير بن طلحة الخزاعي عن خالد بن دريك عن يعلى بن منبه رفع الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : [ينشء الله سحابة لأهل النار سوداء مظلمة ويقال يا أهل النار أي شيء تطلبون ؟ فيذكرون بها سحاب الدنيا فيقولون نسأل بارد الشراب فتمطرهم أغللا تزيد في أغلالهم وسلاسل تزيد في سلاسلهم وجمرا يلهب النار عليهم] هذا حديث غريب وقوله تعالى : { ثم قيل لهم أين ما كنتم تشركون * من دون الله } أي قيل لهم أين الأصنام التي كنتم تعبدونها من دون الله هل ينصرونكم اليوم { قالوا ضلوا عنا } أي ذهبوا فلم ينفعونا { بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا } أي جددوا عبادتهم كقوله جلت عظمتهم : { ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين } ولهذا قال D : { كذلك يضل الكافرين } وقوله : { ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفرحون } أي تقول لهم الملائكة هذا الذي أنتم فيه جزاء على فرحكم في الدنيا بغير حق وفرحكم وأشركم وبطركم { ادخلوا أبواب

جهنم خالدين فيها فيئس مثوى المتكبرين { أي فيئس المنزل والمقيل الذي فيه الهوان والعذاب الشديد لمن استكبر عن آيات الله واتباع دلائله وحججه والله أعلم